نظرة على بعض روائع الحضارة العربية والإسلامية و أثرها على أوروبا

محمد مرابط
أستاذ بقسم الرياضيات، جامعة الشلف، الجزائر
merabetmohamed02@gmail.com

"لقد كان العرب أول من علَّم أوروبا طريق الحضارة." غوستاف لوبون Gustave Le Bon (1931-1841)

يسعى هذا المقال إلى إبراز بعض المحطات المضيئة على درب حضارتنا في الرياضيات والفلك والطب والصيدلة والعمران. وواقع الحال أن ما قدّم في هذا العرض، في أغلب الأحيان، يُعدّ إشارات سريعة لا تفي بالغرض، وإطلالة فقط على بعض روائع الحضارة العربية والإسلامية في الميادين المذكورة أعلاه.

نقول في الأخير إننا لم نأت بالجديد في هذا العرض من حيث المعلومات، إذ إن كل ما جاء فيه، بل والكثير منه متناثر ومكرر بين كتب التراث والموسوعات والمقالات المهتمة بتاريخ العلوم العربية والإسلامية.

تصدير

إن الفضل الحضاري الذي قدّمه العرب والمسلمون لا يقف عند حدود الترجمة فحسب، بل يتعدّاه إلى الإبداع والتأسيس لمناهج وعلوم جديدة. ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا تغطّ في ظلمات العصور الوسطى، كانت الحضارة العربية والإسلامية تضيء سماء العلم والمعرفة في بغداد ودمشق وقرطبة، فكان لهم دور حاسم في نقل العلوم والفلسفة، وتطوير الطب والرياضيات والفلك، مما مهّد الطريق لنهضة أوروبا وتقدّمها، فكانوا الجسر الذي عبرت عليه أوروبا نحو النور والتقدّم.

نوّد في هذا العرض تسليط الضوء على بعض إسهامات علماء العرب والمسلمين (بالأندلس) في الرياضيات، والفلك، والطب، والعمران. وبعدها نستعرض بعض شهادات العلماء، والمؤرخين، والمستشرقين وحتى السياسيين، على فضل الحضارة العربية والإسلامية وعلمائها في بناء صرح العلوم ونهضة وتطور أوروبا.

1. من رواد علمائنا في الأندلس

"لولا علماءُ الأندلسِ لما انتقلتْ كنوز الفلسفة والطب والرياضيات إلى أوروبا، فَهُم جسور النهضة الحقيقية." لويس بيير أوجين سديو Louis-Pierre-Eugène Sédillot (1875–1808)

إن الحديث عن علوم المسلمين وعلمائهم هو عمل موسوعي يحتاج إلى مجلدات، وقد كتب فيه الكثير قديمًا وحديثًا. كتب فيه العرب والمسلمون والمستشرقون، ولم يُوفَّ هذا الموضوع حقَّه بعد، لذا نكتفي هنا بالإشارة إلى ثلة مِن العلماء ممَّن ذاع صيتهم في أقطار أوروبا.

من علماء الأندلس الذين تفوّقوا في علوم الجبر والحساب والهندسة والفلك، نجد جابر بن أفلح (1100–1150م) الذي وُلد في إشبيلية وتوفي في قرطبة، وقد ألّف وبرع في علم الفلك وحساب المثلثات. كما يُعدّ أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي، الشهير بالقلصادي (1412–1486م)، واضع الترميز الرياضياتي، وكان مُلمًا بعلم العدد في زمانه، كما كان عالمًا بالنحو والفروض وفقيهًا.

ويُعدّ العالم الأندلسي عباس بن فرناس (810–887م)، المعروف بمحاولته الطيران التي يُقال إنها أدّت إلى وفاته، من أبرز المشتغلين بعلم الفلك والكيمياء في عصره. وقد نُسبت إليه ابتكارات مثل القبة السماوية التي أنشأها في بيته، كما تُذكر له محاولات في صناعة أدوات دقيقة لقياس الزمن، ويُرجّح أنه ساهم في تطوير وسائل بصرية تُعدّ من المقدمات المبكرة لفكرة النظارات.

كما يُعدّ أحمد بن أبي عبيدة الليثي القرطبي (769–848م) من أقدم علماء الحساب والنجوم بقرطبة. ومن علماء الفلك البارزين في الأندلس نجد أبو إسحاق إبراهيم بن يحي الزُّرقالي (1029–1087م) الذي يُعدّ أكبر وأشهر من رصد النجوم في زمانه، وقد اخترع أُسْطُرْلابًا جديدًا دُعي باسم "صفيحة الزرقالي" وشارك في وضع مبادئ جداول طليطلة التي عُرفت بالزيج الطليطلي.

كما أن يحيى بن الحكم المكنى بأبي زكرياء وكذلك الغزال الجياني (لجماله ووسامته سمي بالغزال) (773–864م)، وأصله من مدينة جيان وأقام في قرطبة، اهتم بالفلسفة والفلك وعُرف بعراف الأندلس.

كانت بداية الازدهار الطبي في الأندلس في عصر الخلافة أيضًا الذي بدأ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (891–961م) الذي حكم الأندلس في الفترة (913–962م)، وهذا ما يؤكده الطبيب والصيدلي الأندلسي ابن جلجل (943–بعد 987م)، إذ يقول: "ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد، فتابعت الخيرات في أيامه، ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم، وقامت الهمم، وظهر الناس ممّن كان في صدر دولته من الأطباء المشهورين". وتابع ابن الخليفة الحكم المستنصر (915–976م) المسيرة حينما أمر بجلب المؤلفات العلمية المشرقية، حتى أصبحت غرناطة من أعظم مراكز العلم والثقافة في العالم في القرن العاشر الميلادي.

لقد كان يحي بن يحي المعروف بابن السمينة القرطبي (ت. 927م) بصيرًا بالحساب والنجوم والطب، متصرفًا بالعلوم، وفيه قال صاعد الأندلسي (1029–1070م): "كان بصيرًا بالحساب والنجوم والطب، متصرفًا في العلوم، متفننًا في ضروب المعارف، بارعًا في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والأخبار والجدل، وكان معتزلي المذهب، ورحل إلى المشرق، ثم انصرف وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة".

كما يُعتبر "العرب المسلمون هم أول من وضع الأقراباذين (كتب الأدوية)، وهم أول من أسس الحوانيت لبيع العقاقير والأدوية الطبية، وإليهم يُنسب الفضل في فصل الصيدلة عن الطب"، بل و"فرضوا على الأطباء أن يكتبوا ما يصفون للمريض من أدوية على ورقة خاصة كانت تُسمى بأسماء مختلفة، كالتذكرة، والوصفة، والنسخة، وسُميت أخيرًا الوصفة الطبية". زيادة على ذلك، تشير المستشرقة زيغريد هونكه في كتابها **شمس العرب تسطع على الغرب** إلى أنه "كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى في أوسط القرن العاشر".

ومن أطباء الأندلس المشهورين نذكر أحمد بن يونس بن أحمد الحراني (ت. 1050م)، الذي تولى إقامة خزانة للطب لم يكن قطّ مثلها، ورتّب لها اثني عشر طبيبًا، وكان يعالج المحتاجين والمساكين من المرضى. ونذكر كذلك محمد بن أسلم الغافقي (ت. 1166م) الذي برع في جراحة العيون والصيدلة، حتى وصفه الطبيب والكيميائي الألماني أوتو فريتس مايرهوف (1884–1951) Otto Fritz Meyerhof بأنه "أعلم أطباء المسلمين في العصور الوسطى بالأدوية والأعشاب". نشير إلى أنه كلمة "gafas" مُستخدمة في الإسبانية للدلالة على النظّارات، وهناك رأي يقترحُ أن أصلها قد يكون اسمًا أو كنيةً لعالم العيون الأندلسي الغافقي.

من أهم كتب الغافقي "المرشد في الكحل" التي ترجمه مايرهوف، وتعرّض فيه إلى تشريح العين وخصائصها وأمراضها، كما ربط لون العين بالجغرافيا والمناخ، وتحدّث عن أسباب ضعف النظر، وأسباب انعدام الرؤية نهائيًا، وشخّص بعض الأمراض وحدّد علاجها كالرمد، وبياض العين والقرحة، كما برع الغافقي في عمليات إزالة المياه البيضاء من العين "الساد Cataract".

في مجال الفن المعماري، شيّد المسلمون في الأندلس عديد المدن والمباني مثل المساجد والقصور والجسور التي بقيت شاهدة على عظمتهم حتى يومنا هذا. نذكر منها:

- مدينة أُبَّدَة التي بدأ تشيدها في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (822–852م)، وعُرفت بأبدة العرب واكتملت في عهد ابنه الأمير محمد بن عبد الرحمن (823–866م).
- مدينة مجريط (مدريد)، وقد بُنيت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (852–886م).
- قلعة رباح، وأمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 855م.
- مدينة الزهراء، وهي مدينة عربية إسلامية بارعة الجمال والعُمران، أمر بتشييدها الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (891–961م). تقع على سفح جبل العروس غربي قرطبة. وقد قيل فيها: "ومن مباني العرب العظيمة في الأندلس مدينة الزهراء التي شيّدها عبد الرحمن الناصر على بعد ثمانية كيلومترات شمال غرب قرطبة على سفح جبل العروس ومازالت تحتفظ باسمها العربي في اللغة الإسبانية، وبنى فيها قصره المشهور بقصر الحمراء". هذا القصر وقف أمامه الرسام الفرنسي هنري رينيو Henri Eugène Augustin (1939–1862) منبهرًا سنة 1869، وقال: "مقارنةً بالفنان الذي صنع هذا، نحن برابرة أوباش متوحشون".
- مسجد قرطبة، حيث "كان مسجد قرطبة الجامع (Mezquita Mayor de Cordoba) أول جامعة قروسطية في أوروبا خلال العصور الوسطى؛ ففي هذا الجامع كان الألوف من الطلبة يتلقّون العلوم الإسلامية الأساسية مثل التفسير والفقه والحديث وغيرها". وحول جمال مدينة قرطبة قيل:

بأربعٍ فاقت الأمصار قرطبة	منهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة	والعلم أعضم شيء وهو رابعها

- مدينة غرناطة، التي قال عنها الكاتب الأمريكي إرنست همنغواي Ernest Hemingway (1961–1899): "إذا كان مقدّر لك زيارة مدينة واحدة فقط في إسبانيا فيجب أن تكون غرناطة". واليوم يقال في إسبانيا: "إذا لم تسافر إلى غرناطة، فلم تر شيئًا".
- شاع في أوروبا ما ذُكر آنفًا عن التقدّم العلمي في الأندلس، ولا سيما في قصور حكّامها وأمرائها، فبدأت منذ ذلك الحين حركة من البعثات العلمية، أُرسلت من قِبل ملوك أوروبا وأمرائها من بلدانٍ مثل إنكلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا. وقد أخذ عدد الموفدين إلى الأندلس في التزايد عامًا بعد عام، حتى غدت مراكزها العلمية مقصدًا للدارسين والباحثين من شتى أنحاء أوروبا.

2. وشهد شاهد من أهلها.

"إنكارُ أوروبا لفضل العرب هو جريمةٌ ضد الحقيقة... شمسُهم أضاءت عصرَنا المظلم." زيغريد هونكه (1913–1999) Sigrid Hunke

مما لا شك فيه أن تأثير المسلمين على الحياة العلمية في أوروبا قد ازداد بفضل فتح الأندلس سنة 711م، حيث كانت أوروبا آنذاك تقبع فيما يُسمّى بالعصور الوسطى. ومما يؤكد فضل المسلمين على النهضة الأوروبية جملة من الشهادات نسرد بعضها فيما يأتي:

قدّم الرياضياتي الفرنسي ميشال شال Michel Chasles (1880–1793) شهادته حول تخلّف أوروبا في القرون الوسطى مقابل تطور الحضارة العربية الإسلامية، بقوله: "كانت أوروبا في الفترة الممتدة من القرن الثامن الميلادي إلى القرن الثالث عشر الميلادي غارقة في جهل عميق. لقد كان حب العلوم وثقافتها موجودًا خلال هذه الفترة الطويلة لدى شعب واحد: عرب بغداد وقرطبة".

يقول المستشرق الفرنسي لويس بيير أوجين سديو Louis Pierre Eugène Sedillot (1808–1875) في كتابه **خلاصة تاريخ العرب**: "من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر، كان عند العرب أوسع ما سمح به الدهر من الأدبيات، وأن نتائج أفكارهم الغزيرة واختراعاتهم النفيسة تشهد أنهم أساتذة أهل أوروبا في جميع الأشياء".

وقدّم الكاتب الإنكليزي، رام لاندو Rom Landau (1899–1974)، هو الآخر، شهادته وثناءه على إسهامات العرب والمسلمين، إذ يقول: "المسلمون قدّموا كثيرًا من الابتكارات في حقل الرياضيات، ومع ذلك فإن معظم الأمريكيين والأوروبيين لم يعودوا يتذكرون من أي مخزن اكتسب العالم المسيحي الأدوات التي لا يمكن أن تصل الحضارة الغربية إلى مستواها الحاليّ إلا بها." ويضيف أيضًا أن العرب والمسلمين: "نقلوا علم الحساب الإغريقي وتبسيطه وجعله أداة طيّعة للاستعمال اليومي، عن طريق اصطناع الأرقام العربية والنظام العشري، واختراع علم الجبر في مفهومه المعروف في العصور الحديثة، ووضع أسس حساب المثلثات وخاصة الكروية منها". وفي السياق ذاته، قال ذات مرة مؤرخ الرياضيات فلوريان كاجوري Florian Cajori (1859-1930) : "إن العقل ليدهش عندما يرى ما عمله العرب في الجبر".

وحول الأندلس، وبصفتها همزة وصل بين الحضارة العربية الإسلامية في الشرق ونهضة أوروبا في الغرب، قالت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "ولم تكن جبال البرانس لتمنع تلك الصلات، ومن هنا وجدت الحضارة العربية الأندلسية طريقها إلى الغرب". وتضيف قائلة: "وقد حمل مشعل الحضارة العربية عبر الأندلس ألوف من الأسرى الأوروبيين، عادوا من قرطبة وسرقسطة، وغيرها من مراكز الثقافة الأندلسية، كما مثَّل تجار ليون وجنوى والبندقية ونورمبرج دور الوسيط بين المدن الأوروبية والمدن الأندلسية، واحتكَّت ملايين الحجاج من المسيحيين الأوروبيين في طريقهم إلى سنتياجو بالتجار العرب والحجاج المسيحيين القادمين من شمال الأندلس، كما أسهم سيل الفرسان، والتجار، ورجال الدين المتدفقين سنويًّا من أوروبا إلى إسبانيا في نقل أسس الحضارة الأندلسية إلى بلادهم، وحمل اليهود من تجار وأطباء ومتعلمين ثقافة العرب إلى بلدان الغرب، كما اشتركوا في أعمال الترجمة بمدينة طليطلة، ونقلوا عن العربية عددًا كبيرًا من القصص والأساطير والملاحم".

وتزيد قائلة: "إن سيلًا عرمًا من نتاج الفكر العربي، ومواد الحقيقة والعلم قد نَقَّحَتْهُ أيدٍ عربية، ونَظَمَتْه وعَرَضَتْه بشكل مثاليّ قد اكتسح أوروبا... وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالِمٌ واحد من العلماء إلَّا ومَدَّ يديه للكنوز العربية هذه؛ ليغرف منها ما شاء الله له أن يغرف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب... ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلَّا وقد ارتوتْ صفحاته بالرِّيِّ العميم من الينابيع العربية، وأَخَذَ عنها إيماءاته، وظهر فيه تأثيرها واضحًا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل وفي محتواه وأفكاره".

وتقول أيضًا: "إن هذه القفزة السريعة المدهشة في سُلَّمِ الحضارة -التي قفزها أبناء الصحراء، والتي بدأت من اللاشيء- لهي جديرة بالاعتبار في تاريخ الفكر الإنساني. وإن انتصاراتهم العلمية المتلاحِقَة التي جعلتْ منهم سادة للشعوب المتحضِّرَة لَفَرِيدة من نوعها؛ لدرجة تَجْعَلُهَا أعظم من أن تُقارَن بغيرها، وتدعونا أن نقف متأمِّلِينَ: كيف حدث هذا؟!"

كما تشير هونكه أيضًا إلى أن نهضة أوروبا كانت ببداية الاحتكاك بالمسلمين إذ تقول: "ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًا وعلميًا وتجاريًا. واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته، الذي دام قرونا ليصبح أكثر غنى، وجمالا وأوفر صحة وسعادة".

يشير المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون بوضوح تام إلى فضل العرب على أوروبا، فيقول: "إن العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافي، فكانوا ممدنين، وأئمة لنا ستة قرون". ويضيف أيضًا: "عندما ندرس أعمال العرب العلمية واكتشافاتهم، فإننا نرى أنه ليس من شعب استطاع مجاراتهم بنفس الوقت القصير وبنفس الوفرة الهائلة، وعندما نمتحن فهم فإننا ندرك أنه يملك أصالة لا سابق لها".

وها هو الكيميائي والمؤرخ الأمريكي (من أصل بلجيكي) جورج سارتون (1884–1956) George Sarton يُدلي بدلوه في مجال الاعترافات بفضل المسلمين على نهضتهم وتطورهم، إذ يقول: "حَقَّقَ المسلمون -عباقرة الشرق- أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكُتِبَتْ أعظمُ المؤلَّفات قيمة، وأكثرها أصالة، وأغزرها مادَّة باللغة العربيَّة، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر لغةَ العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى لقد كان ينبغي لأيِّ كائنٍ إذا أراد أن يُلِمَّ بثقافة عصره وبأحدث صُوَرِهَا أن يَتَعَلَّم اللغة العربية، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكَلِّمين بها، وأعتقد أننا لسنا في حاجة أن نُبَيِّنَ منجزات المسلمين العلميَّة في الرياضيَّات والفيزياء وعلم الفلك والكيمياء والنبات والطبِّ والجغرافيا".

ومن بين الشهادات المنصفة أيضًا ما ذهب المؤرخ وأستاذ الدراسات الأندلسية في جامعة كامبريدج جون براند تريند (1887-1958) John Brande Trend، حيث يقول: "وقد بقيت الأندلس -وهي جزءٌ من أوروبا- مُدَّة ثمانية قرون منبر إشعاع حضاري خلال وجود المسلمين فيها، حتى أثناء ضعفها السياسي، وظهور دول ممالك الطوائف، وذلك بوساطة جامعاتها، ومدارسها، ومكتباتها، ومصانعها، وقصورها، وحدائقها، وعلمائها، وأدبائها، حتى غدتْ محطَّ أنظار الأوروبِّيِّين التي كانت على صلاتٍ وثيقةٍ ومستمرَّةٍ ببلدانهم". وفيما يخص مكانة قرطبة ودورها في انتقال الحضارة الإسلامية نحو باقي بقاع أوروبا يقول: "إن قرطبة التي فاقت كلَّ حواضر أوروبا مدنيَّةً -أثناء القرن العاشر- كانت في الحقيقة محطَّ إعجاب العالم ودهشته، كمدينة فينيسيا في أعين دول البلقان، وكان السياح القادمون من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينَة؛ التي تحوي سبعين مكتبة، وتسعمائة حمَّام عمومي؛ فإنْ أدركتِ الحاجةُ حُكَّام ليون أو النافار أو برشلونة إلى جَرَّاحٍ، أو مهندس، أو معماري، أو خائط ثياب، أو موسيقي فلا يتَّجِهُون بمطالبهم إلَّا إلى قرطبة". وهذا ما أكَّده المفكر ليوبولد فايس (1900–1992) Leopold Weiss قائلًا: "لسنا نبالغ إذ قلنا إنَّ العصر العلمي الحديث الذي نعيش فيه لم يُدَشَّن في مدن أوروبا، ولكن في المراكز الإسلاميَّة؛ في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة".

ومن بين الاعترافات الحديثة بفضل الحضارة العربية الإسلامية على نهضة وتطور أوروبا الكلمة التي ألقاها ملك بريطانيا تشارلز Charles في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية تحت عنوان "الإسلام والغرب" والتي جاء فيها: "إذا كان هناك قَدْرٌ كبير من سوء الفَهْم في الغرب لطبيعة الإسلام، فإن هناك -أيضًا- قدرًا مساويًا من الجهل بالفضل الذي تَدِينُ به ثقافتنا وحضارتنا للعالم الإسلامي... فإسبانيا في عهد المسلمين لم تَقُمْ فقط بجمع وحفظ المحتوى الفكري للحضارة اليونانية والرومانية، بل فَسَّرَتْ تلك الحضارة وتَوَسَّعَتْ بها، وقَدَّمَتْ إسهامات مهمَّة من جانبها في كثير من مجالات البحث الإنساني في العلوم، والفلك، والرياضيات، والجبر -الكلمة نفسها عربية- والقانون، والتاريخ، والطب، وعلم العقاقير، والبصريات، والزراعة، والهندسة المعمارية، لقد كانت قرطبة في القرن العاشر أكثر المدن تحضرًا في أوروبا. كما أن كثيرًا من المزايا التي تفخر بها أوروبا العصرية جاءت أصلًا من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي؛ فالدبلوماسية، وحرية التجارة، والحدود المفتوحة، وأساليب البحث الأكاديمي، وعلم الإنسان، وآداب السلوك، وتطوير الأزياء، والطب البديل، والمستشفيات جاءت كلها من تلك المدينَة العظيمة". ويضيف قائلًا: "وفوق ذلك، فإن الإسلام يمكن أن يُعَلِّمَنَا طريقةً للتفاهم والعيش في العالم، الأمر الذي فقدته الديانة المسيحية، ممَّا أَدَّى إلى ضعفها. ويكمن في جوهر الإسلام حفاظُهُ على نظرة متكاملة للكون؛ فالإسلام يرفض الفصل بين الإنسان والطبيعة، والدين والعلم، والعقل والمادَّة، إن هذا الشعور المهمُّ بالوحدانية والوصاية على الطابع القدسي والرُّوحي للعالم من حولنا شيء مهمٌّ يمكن أن نَتَعَلَّمه من جديد من الإسلام".

وعلى المنوال ذاته، يعترف المستشرق الإيطالي فرانسيسكو غابريللي (1904–1996) Francessco Gabrielli، الذي شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية في جامعة روما، في كتابه **محمد في أوروبا** (Mohammed in Europa) بأن المسلمين: "قدّموا للحضارة الإنسانية الكثير وخاصة في حوض البحر المتوسط، وأنهم أثروا في كل ميادين الحياة في أوروبا، بل إن إنتاج العرب وأفكارهم وإبداعاتهم الفنية تشهد بأنهم كانوا أساتذة أوروبا". وهذا ليس بالأمر الغريب بما أن الأندلس في ظل الخلافة الأموية كانت من أغنى البلدان الأوروبية وأكثرها ازدحامًا بالسكان، إذ بلغ عدد سكان قرطبة

مليون نسمة، وأصبحت من أعظم مدن العالم، ويكفيها فخرًا أن أهلها كانوا يمشون في شوارعها بعد غروب الشمس في ضوء المصابيح العامة، في حين مدينة لندن سبعة قرون بعد ذلك لا يوجد في طرقاتها مصباح عام واحد يضيء ليلًا.

كما أشاد ذات مرة الرئيس البرتغالي خورخي فرناندو برانكو دي سامبايو Jorge Fernando Branco de Sampaio، الذي امتد حكمه من سنة 1996 إلى 2006، في خطاب له بفضل العرب والمسلمين على تطور جنوب أوروبا جاء فيه: "نحن مدينون للتراث العربي-الإيبيري، الغني جدًا بما كان له من تأثير في لغتنا، وفي أسماء الأماكن، وفي الأعراف والعادات الاجتماعية، وفي العمارة، وفي الفنون والأدب والمخيلة الشعبية، وفي فن الطبخ، وفي الزراعة والتجارة، وهذا أمر نعتز به اليوم، بوعي جديد اكتسبناه بالتغلب على كثير من المخاوف، والحذر، والأحكام المسبقة، وعدم الفهم الذي امتد مئات من السنين".

خلاصة

نشهد في هذه الفترة، من بعض الدوائر المتربصة في الغرب، افتراءات متحيزة ضد العرب والمسلمين، وهذا الأمر ليس بجديد. ومن أجل تحصين أنفسنا علميًا، وجب نشر تراثنا العربي والإسلامي في كتبنا المدرسية وبرامجنا الجامعية، لبثّ الثقة في النفوس، وتدعيم الاعتزاز والفخر بالتراث العربي والإسلامي، ودفع الأجيال من التلاميذ والطلبة إلى المضي قدمًا نحو مستقبل زاهر وحضارة راسخة، كما فعل أجدادنا بالأمس. ولا يتحقق هذا الهدف إلا بالرجوع إلى أهل الاختصاص والاستعانة مؤلفاتهم.

المراجع

[1] أحمد، محمد، إسهامات العرب في النهضة الأوروبية الحديثة، رؤية جديدة، مجلة دراسات تاريخية، العددان 15-16، 2011.

[2] باشا، حسان شمسي، هكذا كانوا يوم كنا: الطب في أوروبا وعند المسلمين، دار المنارة، 1999.

[3] جبار، أحمد، علماء الحضارة العربية الإسلامية ومساهماتهم، كليك للنشر، الجزائر، 2011.

[4] ابن جلجل، أبو داود سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955.

[5] روبرت، هيلبترايدر، زينة الدنيا قرطبة القروسطية، مركزًا ثقافيًا عالميًا"، ضمن كتاب الحضارة العربية في الأندلس، إشراف وتحرير: سلمى الجيوسي، الجزء 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.

[6] السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2000.

[7] سيديو، لويس، خلاصة تاريخ العرب، ترجمة محمد أحمد عبد الرزاق، مؤسسة هنداوي، 2018.

[8] صاعد الأندلسي، أبو القاسم بن أحمد، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، 1912.

[9] عاشور، سعيد عبد الفتاح، حضارة ونظم أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 2000.

[10] العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1971.

[11] لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، 1956.

[12] المبارك، هاني وأبو خليل، شوقي، دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1996.

[13] الملا، أحمد علي، أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية، دار الفكر، دمشق، 1981.

[14] هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة بيضون فاروق ودسوقي كمال، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1993.

[15] Djebbar, Ahmed, Une histoire de la science arabe, Le Seuil, Paris, 2001.